موقع الأديب
علي احمد باكثير
www.bakatheer.com

المشهد السابع

في بيت ام حكيم زوج عمر بالمدينة يرى عمر واقفاً عند البـــاب وهو مفتوح كأنه يرقب شيئاً من بعيد.

ام حكيم : (تدنو منه) ماذا ترقُب يا امير المؤمنين ؟

عمر : اولئك الصبيان يلتقطون البلحَ من اصولِ النخل .. ويحهم يتعلمون السرقـــةَ وهم اغيلمة .. أين أهلُوهم؟ كيف تركوهم ؟

ام حكيم : وماذا عليهم ان يلتقطوا ما القَتْ الريحُ ؟

عمر : لعلهم اسقطوه مـــن عَثاكيله قبل ذلك بالحجارة .. انظري ذلك صبيٌّ منهم قذف رأسَ النخلة بحجر .. (ينـــادي بأعلى صوته) يا أَصيبية يا أصيبِية..ويلكم كفوا عن النخل !!

ام حكيم : (تضحك) لقد هربوا يا امير المؤمنين فرقاً من صوتك ..

عمر : لكن واحداً منهم بقي هناك يلتقطُ البلح بعد..

ام حكيم : لعله أصم يا أمير المؤمنين لا يسمع ..

عمر : بل أحب ان يستأثِرَ بالبلح دونهم بعدما تركوه.

ام حكيم : (تضحك) كانما طردت أنت الآخرين من اجله هو ..

عمر : (ينادي) يا غلام !. يا غلام !.

ام حكيم : ما اشك الساعة انه أصم .

عمر : بل يتصامم ويتغافلُ .. (ينادي بأعلى صوته) ياغلام !. يالاقط البلح !. يالاقِطَ البلح !.

الصبي : (صوته من بعيد) لبيك يا امير المؤمنين ..

عمر : تعال .. أقبل إليّ ..

الصبي : (صوته) سمعاً وطاعة يا امير المؤمنين ..

عمر : لم يشأ أن يُلبّيَ نِدائي حتى ملأ حجره ..

ام حكيم : لكنـه والله غـــلامٌ شجاع .. لو كنتُ

مكانه لهربت

عمر : لا تعجلي حتى يصل الينا ..

ام حكيم : اتخشى بعد ان يهرب من نصف الطريق ؟

عمر : مثل هذا الغلام الأريب لا شيء يُعْجِزه ..

ام حكيم : لا يا امير المؤمنين انه آتٍ اليك حقاً .

عمر . اي والله اني به لأسعد .

(يظهر الصبي على الباب) .

الصبي : السلام عليك يا امير المؤمنين ..

عمر : اني لا اردّ السلامَ يا غلام على مَنْ يسرقُ أموالَ الناس ..

الصبي : يا امير المؤمنين ما سرقت والله مالَ أحد.. انما هذا ما القَتْ الريحَ ..

عمر : ارِني انظرْ فانه لا يخفى عليّ (ينظر في حجر الصبي ويقلب ما فيه من البلح) .

الصبي : كيف وجدت يا امير المؤمنين ؟

عمر : صدقت .. هذا ما القت الريح .. لا جُناحَ

عليك ..

الصبي : السلام عليك يا امير المؤمنين ؟ ..

عمر : (يضحك وتضحك ام حكيم) وعليك السلام ورحمة الله .. ما اسمك يا بني ؟

الصبي : اسمي يا امير المؤمنين .. سِنَان .

عمر : سنان ابن من ؟

الصبي : حَنانَيْك يا امير المؤمنين. لا تشْكُني إلى أبي فانه قاسٍ غليظُ القلبِ ..

عمر : لا تُرَع فلن اشكوك اليه ..

الصبي : اياك ان تخلف وعدَك فانت اميرُ المؤمنين .

عمر : كلا لن اخلف وعدي ..

الصبي : أنا سنان بن سلَمَة بن المحبّق الهُذلي..

عمر : اتراك أنت وليد يوم حنين ؟

الصبي : نعم أنا هو يا امير المؤمنين ..

عمر : ويحك أتعرف قصةَ ذلك ؟

الصبي : نعم يا امير المؤمنين ، كان ابي يقاتل مع

رسول الله يوم حنين إذ بشروه بي فقال لَسِنانٌ أذبُّ به عن رسول الله احبُّ إليَّ مما بشرتموني . فسماني رسول الله سِناناً ..

عمر : بخ بخ يا سنـــان .. والله انك لشجاعٌ صدوق ..

الصبي : لكنني لا احب العرَاكَ مع الصبيان يا امير المؤمنين ..

عمر : ذلك خير لك .. فانك ان عاركتهم لا تأمَنَ أن يقطعُوا ثيابَك أو يجرحُوك .

الصبي : يا امير المؤمنين اترَى اولئك الصبيانَ ثَمَّ ؟

عمر : نعم ما بالهم ؟

الصبي : والله لئن أنطلقتُ لأغارُوا عليَّ فانتزَعُوا ما معي .

عمر : أليس معهم من البلح مثلُ الذي معك ؟

الصبي : لا يا امير المؤمنين .. أنا سبقتُهم إلى المكان ثم فرُّوا عنه لما سمعوا صوتَك وبقيت أنا

ألتَقِطُ ..

(يضحك عمر وأم حكيم)

ام حكيم : لكن كيف خَافوُا من صوْت امير المؤمنين ولم تخَفْ أنت ؟

الصبي : خافوا لأنهم لصوص ينووون السرقة ولست كذلك .

عمر : (يتمثل معجباً بحكمة الصبي)

والسِّتْرُ دون الفاحشاتِ ولا
يلقاك دُون الخيرِ من سِتْرِ

اتحب يا غلامُ ان اوصلَك إلى مَامَنك ؟.

الصبي : نعم يا امير المؤمنين جُزِيت الخير ..

ام حكيم : ابعث معه اسلم يا امير المؤمنين ..

الصبي : كلا يا امير المؤمنين .. اسلم ليس بمُجْزِيء عنك .. انهم يترَصَّدُونني ولن يخافُوا إلا منك ..

عمر : (يشد أذن الغلام في رحمـــة وتدليل وهو يضحك) قاتلك الله ياسنانُ .

ام حكيم : ربّما يجيءُ عبد الله بن عباس الآن يا امير

المؤمنين ..

عمر : اذا جاء ابن عباس فقولي له ينتظرني فانني راجعٌ على التوِّ ..

الصبي : لن يغيبَ اميرُ المؤمنين عنكم طويلاً فان بيتَنا جدّ قريبٍ على مَرْمَى حجر .

(يخرج عمر والصبي)

ام حكيم : ارأيتَ يا اسلم مثلَ هذا الصبي قط ؟.

اسلم : لا والله ما رأيت اشجعَ ولا انجبَ ولا احكمَ .

ابن عباس : (صوته) يا آل امير المؤمنين .. يا آل امير المؤمنين ..

ام حكيم : ادخل يا ابن عباس ..

ابن عباس : (يدخل) السلام عليكم ..

ام حكيم : وعليكم السلام .. أجلس يا ابن عباس .. ان امير المؤمنين آتٍ عمّا قريبٍ ..

ابن عباس : لعلي بكّرت قليلاً على امير المؤمنين ؟

ام حكيم : لا والله فقد كان ينتظر مجيئَك وانما عرَضت

له حاجةٌ فخرج .. صبي من صبيان الحيّ خشي ان يُغيرَ الصبيانُ عليه ويأخذوا ما معه من البلح .. فخرج امير المؤمنين ليبلغَه مأمنه .

ابن عباس : ليس ذلك ببِدعٍ من امير المؤمنين ..

اسلم : ها هُوذَا قد أقبل ..

عمر : (يدخل) مرحباً بابن عم رسول الله .. أتدرين يا ام حكيم ما فعل الصبي ؟

ام حكيم : ماذا فعل يا امير المؤمنين ؟

عمر : انه خدَعني .. ما كان خائفاً من الصبيان ، وما كان بحاجة إلى أن ابلّغَه مأمَنه ..

ام حكيم : وكيف يا امير المؤمنين عرفت ؟

عمر : ما كدت اوصله إلى بيته حتى اختلط بالصبيان وفرّق فيهم البلح وقال لهم وأنا اسمع .. يا معشر الصبيان .. من منكم مثلي ؟ رسول الله سماني وامير المؤمنين

اوصلني إلى بيتي !!

(يضحكون مليـــاً ثم يخرج اسلم وتخرج ام حكيم) هات الآن ما عندك .. ماذا فعلت ؟

ابن عباس : هيات كُلَّ شيء يا امير المؤمنين ..

عمر : هل وافقَت خالتُك ميمونَة ام المؤمنين ؟

ابن عباس : بل سرَّهـــا يا امير المؤمنين ان اخترْتَ بيتَـها لذلك .

عمر : وكلمت علقمة بن علاثة وخداش بن زهير؟

ابن عباس : نعم .

عمر : وخالد بن الوليد ؟

ابن عباس : رأيت خيراً من ذلك يا امير المؤمنين ان اجعلَ خالتَـه ام المؤمنين هي التي ترسل في طلبه فانه لا يعصي لها امراً .

عمر : اصبت .. هذا افضلُ ..

ابن عباس : وقالت لي امُّ المؤمنين انها سترسِلُ في طلب

اخته فاطمة بنت الوليد أيضاً .

عمر : هذه أصلُ البلاء .

ابن عباس : لذلك تريد ام المؤمنين ان تـلُومَها وتبكّـتَـها ..

عمر : ومتى اتّعَـدْتَ لهم ؟

ابن عباس : مع علقمة وخداش عَقِب صلاةِ العصر .. أما خالد فسيحضرُ بعد ذلك بقليل ..

عمر : بُوركت يا ابن عباس..هذا والله ما نريد..

إذا كنتَ في حاجة مُرْسِلاً
فارْسِلْ حكيماً ولا تُوصِهِ

ابن عباس : انه لرأيُك أنت يا امير المؤمنين ..

عمر : أجل ولكن ما خيرُ رأيٍ لا يصْبهُ حُسْن تدبيرٍ ..؟

المشهد الثامن

في بيت ام المؤمنين مَيْمُونة بنت الحارث عقب صلاة العصر .

يرفع الستار عن ميمونة ام المؤمنين وعندها ام حكيم وهما تنظران تارة إلى الباب الداخلي عن اليمين وتارة إلى الباب الخارجي عن اليسار وقد لاحَ عليهما الاهتمامُ الشديدُ .

ام حكيم : (تنظر من كوَّة) يا ام المؤمنين .. هذا ابنُ عباس قد أقبل بالرجلَيْن الحمد لله اذْ سبقهم اميرُ المؤمنين ..

ميمونة : لا تخافي على ابن عباس فهو يُحْسِنُ التدبيرَ .. مرحباً بهم .. سأفتحُ لهم الباب ..

(تفتح الباب الأيسر فيدخل ابن عباس)

مرحباً بك يا ابن اختي أين صاحباك ؟

ابن عباس : يا علقمةُ ويا خدّاشُ ان ام المؤمنين أذِنَتْ

لكما فادْخُلا ..

(يدخل علقمة وخداش) .

علقمة : السلام عليك يا ام المؤمنين .. يا مفخرةَ بني عامر بن صَعْصَعَة .

ميمونة : وعليكما السلام .. مرحباً بكما في بَيْتِ رسول الله ﷺ اجْلِسَا .

علقمة وخداش : ﷺ

خداش : والله ليتباشرنّ قومنا إذا رَجعْنا اليهم أن أختَهم ميمونةَ بنت الحارث ام المؤمنين قد كرَّمتْنا فدعَتْنا إلى بيتها بيتِ رسول الله ﷺ ..

ميمونة : كلا انا ما دعَوتُكما وانما دعاكما ابنُ اختي خالدُ بن الوليد .

علقمة : فأين هُوَ يا ام المؤمنين ؟

ميمونة : (تنادي) خالد .. خالد ..

عمر : (صوته) لبيك يا ام المؤمنين ..

ميمونه : هذا صاحباك قد حضَرَا ..

(يدخل عمر في زيٍّ خالدوقد لاث عِمامَتَه على طريقةِ خالد) .

عمر : مرحباً مرحباً .. بعلقمة بن علاثة وخداش ابن زُهير .. اجْلِسا .

ام حكيم : الا ندخلُ نحن يا ام المؤمنين فلعل خالي يريد ان يتحدّثَ معهم في شأن من شأنه ..

ميمونة : صدقت يا أم حكيم .. هلُمي (تخرجان) .

ابن عباس : هاأنذا اوصلْتُهما اليك فائْذَنْ لي يا خالد ..

عمر : الى اين يا ابن عباس ؟الا تجلِسُ قليلاً معنا؟

ابن عباس : دعْني يا أبا سليمان اجمعُ علمَ رسول الله ﷺ من اصحابه قبل ان يذهبَ بذهابهم ..

عمر : طُوبَى لك يا ابن عباس .. اني لأرْجُو أن تكونَ ربّانِيَّ هذه الأمة ..

(يخرج ابن عباس) الحمد لله .. نحن الآن وحدنا ..

خداش : لِمَ دعوتنا هنا يا أبا سليمان ؟ هلاَّ في بيتك أو بيت اختك ؟

عمر : هنـا ويلك اصْرَفُ للعيون وانْفَى للظُّنُون .. امُّ المؤمنين من قومِكما وهي خالتي وخالةُ عبد الله بن عباس ..

خداش : لكنّ أم حكيم هذه .

عمر : ما بالُها ..؟

خداش : اليسَتْ زوجَ أمير المؤمنين ؟

عمر : بلىَ ولكنها ابنة اختي فاطمة بنت الوليد ..

علقمة : لو كنا نعلم اننا سنجدُها هنا ما جئْنا ..

عمر : ماذا تخافان منها يا عَلْقمة ؟

علقمة : لا نريد اميرَ المؤمنين ان يعرفَ انك اتصلت بنا أو اننا اتّصَلْنا بك .

عمر : ماذا عليكما ؟ انكما من قومِ اُمّي

علقمة : قد بلَغَه اننا كنا نحرّضك عليه ونُجَمّع القبائلَ لنُصْرتك ..

عمر : ليس عنده على ذلك أيُّ دليلٍ ..

علقمة : ذلك احْرَى ان نَنْقطِعَ عنك فنُزيل ما عنده من ارتِياب بنا او سُوءِ ظنٍّ .

خداش : لقد أُلقي في رُوعي الآن انَّهَا قَدْ تكون عيْناً علينا من قِبَل زوجها .

عمر : كلا هذا لا يكونُ .

خداش : لِمَ لاَ ؟

عمر : أمُّ حكيم ابَرُّ بخالها من ذلك ..

علقمة : رُبَّما تذكر لزوجها انهـا رأتنا معك عن حُسْن نيّةٍ ..

عمر : اطمَئِنّا فاني سآمرُها الا تذكر لزوجها شيئاً ولن تَعصِيَ امري ..

علقمة : ما كان لك ان تدعُوَنا اليوم بعد ما اجتمعنا بك أمس ..

عمر : لا تخافَا فلن يعلمَ ان شاء الله باجتماعنا أمس ولا باجتماعنا اليـوم .. خبّراني الآن هل أستطيع ان اعتَمِد على قومكمـا وعلى سائِر قبـائلِ عامر بن صَعْصَعة ومن لفَّ لفَّها ليقوموا بنُصْرتي ويدخلوا المدينةَ مطالِبين بحقي ؟

علقمة : عجَباً لك يا ابا سليمان .. ألم تخبرْنا أمس بأنك عدَلْتَ عن الفِتْنَة وان لا حاجةَ بك إلى استِنْصار القبائل ؟

عمر : بلى ولكن بـدَا لي اليوم الاّ حق لي في العدُولِ عن المطالبة بحقي .. ان عُمَرَ ظلمني واراد اذْلالي وإهْواني ..

ولا يُقيمُ على ذُلٍّ يُرادُ بـه
الا الاذلاّنِ غَيْرُ الحيّ والوَتدِ

خداش : بُورِكت يا ابا سليمان .. الآن أُحيِيْت في نفسي الآمال .

علقمة : اسمع مني يا ابا سليمان .. فاني ناصحٌ امين.. امّا ان عمر قد ظلمك فقد ظلمك وكان في وُسْعك أن تستَنْصر القبائلَ عليه اولَ ما قدِمْت ولكنك لم تفعل ، وآثَرْتَ ان تناقشه امام المسلمين.. وقد انصَفَكَ الرجلُ فاستجابَ لرغبتِك ، فناقشته وناقشك على سَواء ، فاذا قلوبُ المسلمين التي كنّا نظنُّها معك عليه ، قد صارت معه عليك . فاذا استنصرْتَ القبائل اليوم فانما تستنصرُها على المسلمين لا على عُمر . ووالله يا خالد لا ينصرك الله عليهم ابداً .

عمر : مايدريك لعلهم يعودون فيؤيّدُونني إذا رأوا القبائل قد جاءتْ لنصرتي .

علقمة : هيْهات والله ليذُبُّنَّ عن مدينتهم وليقاتلُنَّك ومن معك قتالَ المُرتَدِّين عن دين الله ..

عمر : عجباً لك يا علقمةُ لقد كنت تُحَرِّضني على الفِتْنَة .

علقمة : اجل عندما كنتُ ارجو ان يؤيدك المسلمون ويخذلوه .. أما اليوم وقد أيّدوه وخذَلُوك فلا ..

عمر : وماذا اصنع يا علقمة ؟ أأصْبرُ على ظلمه ؟

خداش : ونحن انصبر على شُحِّه ؟

علقمة : الصبر على ظلمِه وشُحِّه خير من ازاقةِ دماءِ المسلمين في غير طائِلٍ .

عمر : اهذا لُبابُ رأيك اليوم يا علقمة ؟

علقمة : نعم هذا لبابُ رأيي ورأيِك أمس، وما يكون لنا ان نُغَيِّر رأينا كل يوم .

عمر : وترَضى لي هذا الضَّيْمَ يا ابن علاثة ؟

خداش : وترَضى لنا هذا الحِرْمانَ .

علقمة : هم قومٌ لهم علينا حقٌّ بأمر الله فنؤدي لهم حقَّهم واجرُنا على الله .

خالد : (صوته) يا أم المؤمنين .. يا أم المؤمنين ..

عمر : ادخل يا أبا سليمان

(يدخل خالدٌ ومعه فاطمةُ اختهُ فيدهَشان لرؤية عمر ويدهش علقمة وخداش فيردّدان البصر بين عمر وخالد) .

خالد : السلام عليك يا أمير المؤمنين ..

عمر : وعليك السلامُ يا أبا سليمان ورحمة اللهِ .. ادخلي يا فاطمة الى ام المؤمنين (تغيب فاطمة داخل البيت) .

خالد : (ينظر الى علقمة وخداش فيفهم كل شيء) او قَدَ فعلْتَها يا عمر ؟

عمر : ما اردْتُ الا خيراً يا خالد .. اردْتُ ان اختبرَهما لاعرفَ ما عندهما وما عندك ..

خالد : فماذا وجدْتَ يا ابن الخطاب ؟

عمر : ما وَجدْتُ عندك وعند علقمة الا خيراً ووجدت السُّوءَ كلَّه عند هذا الشاعر الخبيثِ ..

خالد : ليس لك يا عمر ان تَتَّبعَ هذا السبيلَ

لاستخراج اسرارِ الناس .

عمر : انما اردت ان احْمِيَ المسلمين بذلك من شرّ مُسْتَطِير ..

علقمة : ما كان لك يا أمير المؤمنين ان تفعل هذا .. ماذا كنتَ تفْعَلُ بي لو اني قلت فيك كلاماً سَيِّئاً وانا أظنُّ انني بين يدي خالد بن الوليد ؟

عمر : ما كنت لاُعاقِبَك أو أحاسِبَك على ذلك فاننا لا نحاسب الناس على ما في نفوسِهم ..

خالد : (في غضبه واستيائه بعد) يا أم المؤمنين .. يا أم المؤمنين ..

(تدخل ميمونة ومعها فاطمة وأم حكيم)

ميمونة : اهلا بك يا خالد ..

خالد : ما هذا الذي صَنَعْتِ يا خالة ؟

ميمونة : قل يا أمَّ المؤمنين ..

خالد : اني لا اكلِّم أم المؤمنين الساعة وانما اكلم

خالتي اخت امي .. كيف تواطأتِ مع ابن الخطاب عليَّ ؟

ميمونة : يا ابن اختي ان ابنَ الخطاب هذا هو امير المؤمنين .. وقد اردت أنت الفتنةَ فكيف لا اتواطأ معه عليك ؟ ان الفتنةَ من الشيطان ولا ينبغي لسيفِ اللهِ ان ينقلبَ سيفاً للشيطان ..

خالد : هو الذي اغمدَ سيفَ الله وشهرَ سيفَ الشيطانِ .

ميمونة : لا تظلمْه يا خالد .. انه ينظرُ بعينٍ لا تنظرُ انت بها .. انك حسبتَه يحسدك أو يَغارُ منك أو ينفسُ عليك .. لانك لا تستطيعُ ان تؤمنَ بالغاية التي يسعى اليها عمرُ أو بالتقوى التي ألزمَ بها نفسه .

خالد : والله ما اخاله الاّ اتّخذَ هذه التقوى ذريعةً لظلمي واضطهادي ..

ميمونة : مهلاً يا خالد ، دع عنك اصحابي فوالله لو كان لك احدٌ ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ما ادركتَ غدوةَ رجلٍ من اصحابي ولا روحتَه .. اتذكرُ يا خالدُ من قال هذه الكلماتِ ؟

خالد : نعم قالها رسول الله ﷺ

ميمونة : واين قالها ؟

خالد : في بيتكِ هذا

ميمونة : ومتى ؟

خالد : يوم تلاحيتُ مع عبد الرحمن بن عوف فبلغني ان رسولَ الله غضبَ مني فجئت استعتبه .

ميمونة : ويحك يا ابن اختي أوَتحسب ابنَ عوف اكرمَ على رسول الله ﷺ من عُمر ؟

خالد : (بعد صمت يسير) يا أمّاه اني لا أنكر فضلَ عمر ولا سابقتَه ولا مكانتَه عند

رسول الله ﷺ ، ولكنّي وجدْتُهُ يتْبَعُني بالاذى منذُ ايام رسول الله حتى يومنا هذا فبالله يا أماه ماذا اصْنَعُ ؟

ميمونة : انك قِسْتَ عمرَ بنفسك فتوهَّمْتَ غيرَ الحق .. ما كان عمرُ يرى فيك الا رجلاً اخطأ ، فكان اجهرَ الناس نكيراً عليك أو رجلاً أصابَ فكان اعظمَهم صوْتاً في الاشادَة ببلائِكَ وفضلِكَ ..

خالد : انه ليس بأفضلَ من ابي بكر ، أفما كان يَسَعُه ما وسِعَ ابا بكر ؟

ميمونة : لا استطيعُ ان اجيبَك في هذا يا خالد بخيرٍ ممَّا قال فيهما رسول الله ﷺ .. إن الله ليُلَيِّنُ قلوب رجال فيه حتى تكون ألْيَنَ من اللين ، وان الله ليُشَدِّدُ قلوبَ رجال فيه حتى تكونَ اشدَّ من الحجارة ، وان مثَلَكَ يا ابا بكر مثلُ ابراهيم قال :

من تَبِعَني فانَّه مني ومن عصاني فانّك غفورٌ رحيمٌ .. ومِثْلَك يا ابا بكر مثلُ عيسى قال : ان تُعذِّبهم فانَّهم عبادُك وان تغفرْ لهم فانك أنت العزيزُ الحكيمُ .. ومثلُكَ يا عمر مثلُ نوحٍ قال : رب لا تَذَرْ على الأرض من الكافرين دَيَّارا ، ومثلك يا عمرُ كمثلِ موسى قال : ربَّنا اطْمِسْ على أموالهم واشْدُدْ على قلوبهم فلا يُؤمِنوا حتى يَرَوُا العذابَ الأليم ..

خالد : وهذا الذي صنَعَه اليوم في بيتِك يا اماه .. والله لو اردْتُ الفتنةَ لأشعِلَنَّها وأنا في الشام ..

ميمونة : فقد اردت ان تُشْعِلَها وأنت في مدينة رسول الله يا خالد ولكنَّ اللهَ سلم ..

خالد : اني قد حلفْتُ لك يا اماه انه ليْسَ عندي لأميرِ المؤمنين الا الطاعةَ .

ميمونة : فقد اراد امير المؤمنين ان يتأكّدَ من ذلك وقد فعَل فسرّهُ ما سمعَ .

عمر : أي والله يا ابا سليمان لهذا الذي سمعتُه عنك من علْقَمة اليوم احبُّ اليَّ ممّا طلعَتْ عليه الشمسُ ..

خالد : يا امير المؤمنين لا ابرّيءُ نفسي .. الحقَّ اقولُ لك اني كنتُ قد اعتزَمْتُ ان أخلَعَكَ وأحلّ مكانَك ، ولكني رأيتُ اللهَ قد ارادَ غيرَ ذلك فلاَ والله لا أُريقُ دماءَ المسلمين أبداً من أجلِ أن يُعْزَل عمرُ أو يُوَلّى خالدُ ..

عمر : والله ياخالد انك عليَّ لكريمٌ وإليَّ لحبيبٌ ولن تُعاتِبَني بعدَ اليوم .. وأما أنت يا علقمةُ فقد اعترفْتَ لي انك كنتَ تُحرّضهُ على الفتنة ..

علقمة : لكني حرضْتُه بعد ذلك على الطّاعة .

عمر : لما خابَ أملُك في المسلمين ..

علقمة : يا امير المؤمنين لقد كنتُ كافراً فأسلَمْتُ ، ثم كنت مرتدّاً فثبْتُ إلى الاسلام .. افتحاسبُني اليوم على كفْري وردّتي بعد ؟ (يصمت عمر قليلاً كأنه افحم) .

عمر : وانت يا ابن زُهَيْر؟ ماذا قلْتَ آنفاً عني؟

خداش : (في خوف) يا امير المؤمنين ما كنت اعلمُ انني بين يديك .

عمر : ماذا قلت عني ويلك ؟

خداش : قلتُ انك شَحِيحٌ ولم اعْدُ الحقيقةَ .. اني استأذَنْتُك يا امير المؤمنين ان انشدَك قصيدَتي التي حبَّرتُها في مدحك فلم تأذَنْ لي .

عمر : خبرني يا خداش أأنت قدمتَ المدينةَ لتمدَحني وتأخذَ عطائي ؟

خداش : نعم يا امير المؤمنين .. ما قدِمْتُ الاّ لذلك.

عمر : تريد من مالِي ام من مالِ المسلمين ؟

خداش : سِيَّان عندي من مالك أو من مال المسلمين ؟

عمر : ان كان من مالي فلي عطاءٌ في الديوان مثلُك انفقه على أهلي فأُنفِقُه على اهلِك دونَ أهْلي ؟

خداش : لا يا امير المؤمنين فاجعله من مال المسلمين..

عمر : لولم يكن لك عطاءٌ في الديوان لأَمرْتُهم فأثْبَتُوا اسمَك ولكنَّ اسمَك مُثْبَتٌ فماذا تَبْغِي بعد ؟ .

خداش : ابغِي فضْلَ سَيْبِك يا أمير المؤمنين .

عمر : هل ترَضى أن انْقِصَ من عطائك لأزيدَ في عطاءِ غيرِك ؟

خداش : لا يا أمير المؤمنين ..

عمر : فكيف تبغي ان أُنْقِصَ من عطاءِ غيْرِك لأزيد في عطائك ؟ الأنك صاحبُ لِسَان ؟

خداش : أجل يا أمير المؤمنين أنا شاعرٌ والشاعر

يُوَصلُ ويُكْرم .

عمر : ويلك أتريد ان تمدَحني بكلام كَذِب فأُعطِيكَ من أموال المسلمين ؟
ويلك ألم تعلَمْ ان الاسلام قد رفَعَ قدْرَ المسلم ونزَّهَهُ أن يمدَحَ أخاه بما فيه وبما ليس فيه ليَسْتَولِيَ منه على ما لا يستحقّه ؟
ويلك .. أمن أجل قصيدة لم تنلْ عليها اجراً تحرّض المسلمين بعضَهم على بعض ؟
والله لئن لم تَنْتَه عن ذلك لأقطعَنّ لساناً لا تذكرُ به الله ولا تتلوُ به القرآن ، ولا تستعملُه الا في اللغو والباطل ..

اعرابي : (صوته من الخارج) يا أم المؤمنين .. أنا أبو البنات يا أم المؤمنين .

(يظهر على الباب ومعه بناتهُ) مَنْ؟ أميرُ المؤمنين ؟

ميمونة : ويلك يا أبا البناتِ الا تسْتأذِنُ أولاً قبل

ان تدخلَ ؟

الاعرابي : وجدْتُ بابَكِ مفتوحاً ، وما كنْتُ اعلم ان أمير المؤمنين عندكِ .

ميمونة : (تناوله دراهمَ في يده) انصرفْ الآن ودعْ أميرَ المؤمنين في مَجْلِسِهِ .

الاعرابي : لا والله يا أم المؤمنين لا انصرفُ حتى ارْتَجِزَ بين يديه .. الحمد لله إذْ لَقِيتَهُ اليوم .

علقمة : يريد ان ينشدَكَ شعراً يا أمير المؤمنين .. يريد أن يمدَحك .

عمر : مه يا اعرابي .. انصرف لشأنك ..

الاعرابي : يا عمر الخير جُزيت الجَنَّة .. يا عُمرَ الخيرِ جُزيت الجنة ..

خداش : يا أمير المؤمنين ما يكون لك ان تسمعَ له ولا تسمع لي ، فاني والله أشعَرُ منهُ .

عمر : ويحكم انه انما يدعو الله ان يَجْزِيَني الجنةَ .

الاعرابي : يا أمير المؤمنين اهؤلاء وزراؤك ؟ والله ما أراهم يفْضُلُونني في شيء .

عمر : (يضحك) لا تشتُمّ الناسوهاتِ ما عندك..

الاعرابي : يا عمرَ الخيرِ جُزِيتَ الجنة ..
جَهِّزْ بنيّاتي واكسُهُنّهْ
اقسمت بالله لتفعَلَنَّه
(يتضاحكون)

عمر : فان لم افعلْ يكونُ ماذا ؟

الاعرابي : اقسم بالله لأُمْضِيَنّه .

عمر : فان مَضَيْتَ يكونُ ماذا ؟

الاعرابي : والله عن حالي لتُسْألنَّه ..
يوم تكونُ الأُعْطِيات جنّة ..
والواقف المَسْؤُول بينهنّه ..
إمّا إلى نارٍ وإما جَنّة .

عمر : (يردِّدُ متأثراً فيما يشبه البكاء)
يوم تكون الاعطِيات جُنّة
والواقف المسؤُولِ بينَهُنه

إمَّا إلى نار وإما جنَّة .

(يخلع قميصه ويرميه له) خُذْ قميصِي هذا لذلك اليومِ لا لشعرِك.

الاعرابي : (يأخذ القميص) هذا قميصٌ واحدٌ يا امير المؤمنين وهنَّ ثلاثٌ .

عمر : امضِ يا شيخُ فوالله ما عندي قميصٌ غيره..

الاعرابي : ما عندك غيرُه .. اذَنْ عليهن لأقسِّمَنَّه ،

(يخرج مسرعاً كأنما يخشى ان يسترد عمر منه قميصه) .

علقمة : هل تأذَنُ لنا يا امير المؤمنين فننصرف ؟

عمر : انتظر يا علقمة .. خبرني أنت ماذا اقدَمك على المدينة ؟

علقمة : كانت لي حاجة عندك ..

عمر : كالحاجة التي جاء من أجلها خداش ؟

علقمة : مَعَاذ الله .. انك تعلم انني اجوَدُ العرب وانني حين نافَرْتُ عامرَ بن الطفيل قال لي لا انافِرُك على الكرم .. أنت رجل

سَخِيٌّ فكيف تظن بي يا امير المؤمنين ما ظننت ؟

عمر : لا غرْوَ فقد كانوا في الجاهلية يَهَبُون ويَنْهَبُون ..

علقمة : كلا يا امير المؤمنين لستُ من اولئك .. اني أَهَبُ ولا أستَوْهِبُ ، وأُمدحُ ولا أمدحُ .

عمر : عَلامَ اذن ذهبْتَ إلى قيصرَ ؟

علقمة : انما ذهبْتُ اطلبُ عنده ميراثَ قريبٍ لي مات في ارض الروم ، ولما سالني أأنت ابنُ عم عامر بن الطفيل غَضِبْتُ وقلت لا أُقِيمُ في أرضٍ لا أُعْرفُ فيها الا بِعَامِرَ .

عمر : يا علقمة تلك شمائلُ جاهليةٌ قد نسَخَهَا الاسلامُ .. ان اللهَ لا يحب المتكبرين .. فاذكر لي ما حاجتُكَ ..

علقمة : ما بَقِيَ لي وجهٌ يا امير المؤمنين بعدَ الذي كان .

عمر : بل عليّ ذلك يا علقمةُ ..

علقمة : كان لي مال في ارض حُوران اغتصبه بعضُ ولاةِ الروم مني فتُعينني يا أمير المؤمنين على استرْداده ..

عمر : حباً وكرامة يا علقمة . سأكتب لك كتاباً إلى ابي عبيدة ليعينك على ذلك .

علقمة : جزاك الله خيراً يا امير المؤمنين .. والله لئن تم لي ذلك لأُقيمَنَّ بحورانَ ولأُرابِطَنَّ فيها فقد مللتُ حياةَ البادية في نَجْد ..

عمر : افعلْ يا علقَمَةُ فذلك خيرٌ لك ولعلي أُوَلّيكَ حينئذ حُورانَ وما حولها.

علقمة : احقاً يا امير المؤمنين تجعلُني اميراً على حُوران ؟.

عمر : نعم ان بلغني انك صلُحْتَ فيها واستَقَمْتَ ..

علقمة : يا عمرَ الخيرِ جُزيت الجنَّة ! (يتضاحكون)

(يخرج علقمة وخداش)

ميمونة : والآن يا امير المؤمنين الا تُعيدُ خالداً إلى عمله بقنَّسرين ؟

عمر : حباً وكرامة ان قبل ابو سليمان عَمَلَنا وشرْطه ..

خالد : كلا لا اقبل له عَمَلاً ابداً ..

ميمونة : فِيمَ يا خالد يا ابن اختي ؟

خالد : انه لا يريد ان يُخَلِّيَ بيني وبين عَمَلي .

ميمونة : كيف ؟

عمر : اني شَرَطْتُ عليه الا يُعْطِيَ شاةً ولا بعيراً الا باذْني ..

خالد : وأنا لا اقبل ذلك .. إمَّا ان يستأمِنَني فيستعمِلَني على الثِّقَة والامانةِ والا فشأنُه بعمله ..

ميمونة : يغفرُ الله لكما الا تَتَّفِقَان بينكما على حدّ قوام ؟

عمر : لا والله بعد العشرة آلاف التي أجاز بها الأشعث لا أوليه الا على هذا الشرط ..

خالد : وأنا والله بعد تشهيره بي في مسجد حمص لا أليَ له عملاً ابداً الا إن اطلقَ يدي وتركني مسؤولاً أمام ربي لا امامه هو ..

عمر : كل مَنْ يَلِي لي عملاً فهو مَسْؤُولٌ أمام ربِّه وأمامي .

خالد : اوقد جعلت نفسك شريكاً لله يا عمر ؟

عمر : لو غيرُك قالها يا خالد !. ان اللهَ واحدٌ لا شريكَ له ولكنّ الله سيحاسبُني على عملي كلِّه ، ولن تُغْنيَ عني يا خالدُ من الله شيئاً إذا سألني غداً كيف استعملْت ابن خالِك على الثّقَة بعدما صارَحك بانه لا يقبلُ أن تُحاسِبَه على عَمله وبعدما بلَوْته من قبل فلم تحمَدْه ؟ لو شئتُ يا خالد لقلتُ انك احرَى ان يُقالَ فيك ذلك ..

أنت لا تُريد ان تحاسبَ على شيء أو تُسْألَ عن شيء .. والله تبارك وتعالى يقول عن نفسه : لا يُسأل عمَّا يفعلُ وهم يُسألون ..

ميمونة : والله لا ادري ماذا أقول وماذا أصنع ؟

فاطمة : أريحي نفسك يا أم المؤمنين من هذا العَناء فان ابن حَنْتَمة لا ينْسَى ضبه على خالد ابداً ..

عمر : والله ما افْسَدَ خالدآعليّ إلا هذه السَّليطةُ بنت الكنانيّة ..

فاطمة : أأسكتُ لك ياعمَر وأنا أراكَ تمْعَطُ فرْوَتَهُ شعرةً شعرةً ؟

ميمونة : (تنهرها) مه يا فاطمةُ فانه صاحب رسول الله واميرُ المؤمنين .

فاطمة : وهلْ كانَ يَثْبُتُ لأخي لولا هذه السَّابِقَةُ ؟

ميمونة : وهو بعدُ زوجُ ابنتك .

فاطمة : لو كان الأمرُ لي ما كان ..

ميمونة : لقد جاوزْتِ حـدّكِ يا بنت الوليد ، فاَحرّجُ عليك في مَجْلسي هذا ان تَتكلّمي الا بخير .

فاطمة : فاني لن افتحَ فَمِي يا أم المؤمنين بخير ولا بشر ..

عمر : (يضحك) جزاك الله صالحةً .. فلقـد كَفَيْتِني بلاءً كبيراً .

ميمونة : فلنَرجع عوْداً على بدء .. الا تجد لنا مِنْ مَخْرجٍ يا امير المؤمنين اصلحك الله ..؟

عمر : ان شاء ابو سليمان جعَلْتُه على الجُنْد في قنّسرين دون المالِ .

خالد : لا واللهِ ان ارْتَضَيْتُ ذلك كان اقراراً مني بالخِيَانة والعَجْز .

عمر : فإنني سأعْلِن في الناس انني ما عزلْتُكَ لخِيَانةٍ أو عجْز .

خالد : الفعلُ يا أمير المؤمنين أصدقُ وأبلغُ من القول .

ميمونة : فاقترحْ أنت يا خالد مـا عندك لعلكما تَتّفِقَان على شيء ..

خالد : ما إخَال أمير المؤمنين يوافقُ لي عَلى شيء ..

عمر : إنه يُسِيءُ بي الظّنَّ يا أمَّ المؤمنين ..

ميمونة : ويلك يا ابن أختي أتُسِيءُ الظنَّ بمن كان رسول الله ﷺ يُحْسِنُ الظن به ؟

خالد : والله يا أمَّاه إني لأُرِيدُ أن أُحسِنَ الظن به فلا يُتيحُ لي هو ذلك .

عمر : ويحك يا خالد إنك لن تستطيعَ إلى ذلك

سبيلاً ما بَقِيتَ ترجُو منِّي أن أصانعَك في أمورٍ لا مكانَ فيها عندي للمُصَانَعَة .

أم حكيم : أوَلا تُريد يا أميرَ المؤمنين ان تسمعَ من خالي اقتِراحه ؟

عمر : بلى يا أمّ حكيم فليقُلْ خالُك ما عنده ..

أم حكيم : هل لك يا خال أن تقولَ ما عندك ؟

خالد : (يستجيب لرغبتها كأنه يعزها خاصة) يا امير المؤمنين دعْني أعود إلى العِراق لأتَمِّمَ فتحَ فارس ثم أغزُوَ بعدها التُّركَ والصِّينَ .

عمر : لا يا أبا سليمان ، وددت لو أن بيننا وبين فارسَ سدًّا لا يصِلُون إلينا ولا نَصِلُ إليهم .. حسْبُنَا من العراق السَّوَادُ .

خالد : دعني إذن أواصلُ غزْو الروم حتى أفضَّ على هرقل عاصِمَتَهُ القسطنطينية ثم نحمل الاسلامَ إلى ما وراءها من أمم الأرض ..

عمر : لا يا خالد لا نُريد القسطنطينية ولا ما وراءها .. حسبنا ما فتحَ الله علينا من ملك هرقل .

خالد : اني لا احسنُ القُرآنَ ولكني احفَظُ قولَه تعالى : لِيُظهِرَه على الدين كله ولو كره المشركون .. فدعنا يا امير المؤمنين نُتَمِّم فتحَ الأرض كلها من مَشْرقها إلى مغربها للاسلام ..

عمر : يغفر الله لك يا أبا سليمان .. ان عمر لأهْوَنُ عند الله من ان يُتِمَّ ذلك كله في عهده .. لو شاء الله ذلك لاتَمَّه في عهد رسوله ..

خالد : فما معنى الآية اذن يا امير المؤمنين ؟

عمر : معناها والله أعلم ان الله سيُظْهِر الاسلامَ والدينَ كله بالحُجَّة والموعظة الحسنة والقدوة الصالحة على مَرِّ الأيام وكرُورِ الأجيال ..

خالد : اذن فدعْني يا امير المؤمنين أفتَح لك مصرَ

فانها مادّةُ الروم وقوتُهم ومنها وثوبُهم ان ارادوا على جزيرة العرب ..

عمر : أما هذه فودِدْتُ والله لو اجبتُك اليها يا خالد ، ولكن عمرو بن العاص قد كلّمني فيها من امَدٍ بعيد، وهو أعرفُ بمصر منك.

خالد : فدعني الحقُ به واقاتل تحْتَ لِوَائه ..

عمر : يا ابا سليمان ان عمْراً يُحِبُّ الامارةَ ، وأنت في الحرْب ما أنت ، ولك من الصيْتِ فيها ما ليس لغيرك، فلن يُحبك عَمْروٌ ولن يأمَنَك ..

خالد : فماذا اصنَعُ يا ابا حفص ؟

عمر : اِقمْ بيننَا النُفيدَ من رأيك ومَشورَتك.

خالد : ويحك يا ابن الخطاب كيف يعيشُ ابن خالك إذا لم يَشْهَدْ زحفَ الزُّحوف .. ويَجُل بين الصفوف ، ويسمع قَعْقَعَة السيوفِ ؟

المشهد التاسع

قاعة الاستقبال في القصر الكبير بالقسطنطينية. يرفع الستار عن هرقل ومارتينه وعندهما سرجيوس والمقوقس بطريق الاسكندرية والاطربون وتيودور من قواد الروم بمصر ، وقد بدا على هرقل الحزن والتضعضع .

مارتينه : الحمد لله .. لقد كنا نَتَمنى أن يدومَ الشتاءُ ولا يَهِلّ الربيعُ فاليوم تستطيع ان تقول مرحباً بالربيع ..

هرقل : لا تعْجَلي يا حبيبتي حتى نستَيْقِن من صحة الخبر ..

مارتينه : ما بقي الآن من شك يا مولاي في انه عُذِّب وأُهين وشُهِّر به في حمص ، ثم عُزِل من ولاية قنسرين وأُبعِدَ عن الجيش ..

سرجيوس : أجل .. هذه معجزةٌ من السماء .. هـذا الرجل قد اجترأ على الله إذْ اعلنَ في آمِدَ انه سيفْتَحُ القسطنطينية في الربيع ، ليقْضِيَ على البقية الباقيـة من مآثِرِ المسيحية فانظروا كيف عاقَبَه الله ؟ عاقبه على يد أميره عمر نفسه .

(تنظر مارتينه إلى الاطربون خلسة كأنها تقول له تكلم) .

الاطربون : ان المعجِزاتِ لا تحدُث كل يوم يا مولاي القيصر ، فلنَنْتَهِزْ هذه الفرصةَ الذهبيـة والا ضاعت منا إلى الابد .. يجب ان نغزُوَ جزيرةَ العرب في الحال ..

تيودور : أجل .. هـذا هو السبيلُ الوحيـد لقَهْرِ العرب واخراجهم من سُورِيَّة وفِلسْطين.

سرجيوس : وللقضاء على دينهم الجديد في مَهْده ..

الاطربون : لو كنتم اطعتموني من قبـل ، وغَزوْنا

جزيرة العرب في نفس الوقت الذي جرّدْنا فيه الحملةَ على الشام ، لكنا قد انتهَيْنا من هؤلاء العرب في اواخر الخريفِ الماضي ..

سرجيوس : لا تتحسَّرْ على ما فات يا اطربون ، فلعل الله صرَفنا عن ذلك ليُهَيِّيءَ لنا وقتـاً أصلح .. من كان يدُور له ببال ان قائدَهم الأكبر الذي سَحَقَنا في اليرموك ثم هـددنا بغزْوِ القسطنطينية يبعد في لحَةِ عَيْن عن الميدان ويـنْزِلُ به مثلُ هذا الهَوَان ؟

الاطربون : اني لا اتأسّفُ على ما فات ولكني اخشَى ان تسوّفُوا فيما يجب علينا ان نبادِرَ بعمله في الحاضر ..

هرقل : ما بالُك صامِتاً يا قيرس ؟ أليس عندك ما تقولهُ ؟

القوقس : بلى يا مولاي القيصر ، ولكني اخشَى ان يُؤوَّل رأيي على غير حقيقته ..

مارتينه : اذن فقد اتهمْتَ نفسَك قبل أن يتهمَك غيرُك ..

المقوقس : لا والله يا مولاتي القيصرة ، ولكنني رأيت القومَ متحمِّسين فأشفَقْتُ على حماسَتِهم أن يُطفِئَها صوتُ الحكْمةِ والعقل..

هرقل : (يتمتم) صوت الحكمة والعقل ..

الاطربون : اني لأعرف يا مولاي القيصر ماذا يريد ان يقولَ : انه يخشى على مصرَ من العرب .

مارتينه : يخشى على مصر ولا يخشى على القسطنطينية ؟

المقوقس : كلا .. أنا لا أخشى على مصر من العرب بل أخشى علينا نحن الرومَ من القِبْط ..

هرقل : كيف ؟

المقوقس : ان القبط يكرهُونَنا يا مولاي ، فاذا رَأَوْنا في حربٍ مع العرب في أرض مصر فسينضَمُّون اليهم لا محالةَ .

تيودور : لكنا لا نريد ان نحارب العرب في ارض مصر بل في ارضهم هم في جزيرة العرب ذاتها.

المقوقس : اتظن العربَ يتركون مصر إذا جاءهم الغزْوُ من سواحلها ببحر القُلزم.

الاطربون : ان العرب سيغزُون مصرَ في يوم قريب أو بعيد ، وان لم يأتهم الغزوُ من سواحلها لا مناصَ من ذلك فلنسبِقْهم اليوم قبل أن يسبقُونا ..

سرجيوس : أجل هذا هو الرأيُ وحق السيد المسيح ..

مارتينه : اتريد يا قيرس ان ننتظرَ حتى يسبقَنا العربُ إلى غزو مصر ؟

المقوقس : معاذ الله يا مولاتي ولكن العربَ لن يغزُوا مصر في الامَدِ القريب وإلى أن يحينَ ذلك يكونُ لدْينا متَّسعٌ من الوقت لنستميلَ اهلَها القبطَ الينا ونسترْضِيهم ونتحبَّبَ اليهم حتى إذا جاء العرب لغزْوِ مصر كان

القبط معنا عليهم لا معهم علينا .

سرجيوس : وكيف نستميلُهم الينا يا قيرس ؟

المقوقس : الامرُ يسيرٌ .. نرفعُ عنهم الاضطهادَ الديني ونمنحُهم حريةَ العقيدةِ .

سرجيوس : اتريدُ يا قيرس ان تهدِمَ في يوم واحد ما بنَيْنَاه في اعوام ؟

المقوقس : هذا خيرٌ من أن نفقدَهم جميعاً ونفقدَ مصر ..

سرجيوس : الحمد لله الذي كشفَكَ اليوم لنا يا قيرس .

المقوقس : ما تعني يا سرجيوس ؟

سرجيوس : قد ظهر اليوم ما كنت تُبْطِن .. انك تحِنُّ إلى قومك القبط ..

المقوقس : هذا ما كنت أخْشَاه يا مولاي القيصر .. ألم أقل لك ؟

سرجيوس : أتريد ان تُنكِرَ ان أصلَك من القبط ؟ اتظننا لا نعلم ذلك ؟

المقوقس : أنا لا انكِر ان أصلَ اسرتنا من القِبْط ، ولكن والدي ترك مصر من زمن بعيد ، وأقام في القُوقاز ، واعتنقَ المذهبَ الملَكاني ، وعمل سِنِين في خدمة الدولة هناك فوُلِدْتُ أنا مَلَكانِيّاً ونشأت ملكانياً ودرست اللاهُوتَ على المذهب الملكاني وتدرجت عليه في سلك الاكْلِيرُوس ، فأنا رُومِيّ قلباً وقالباً لا تربطُني بالقبط الا صلةُ الكراهِيَة ، إذ اضْطَهَدْتُهم ما لم يضْطَهِدْهُم غيري . هل تعرفون أحداً من الروم اضْطَهَدَ القبط مثلي ؟ أفبعد هذا كله يأتي من يتّهِمني في وَلائِي للدولة وولائي لقيصر ؟

سرجيوس : اني لا اتَّهِمُك في ولائك للدولة ولا في ولائك لقيصر ولكني أتهمك في ولائك لدين الدولة ..

المقوقس : دين الدولة ينبغي أن يكون في خِدْمَة الدولة .

سرجيوس : ان لم تحافظْ الدولةُ على دينها ذهبَ دِينُها وذهبَتْ هي على الأثر .

المقوقس : وان لم تحافظ الدولةُ على نفسها ذهبت هي وذهب دينُها على الأثر .

سرجيوس : محافظةُ الدولة على دينِها محافظةٌ على نفسها ..

المقوقس : هذا إذا لم تُكرِهْ الناسَ على دينِها ، بل تركتْهم أحراراً في دينِهم والا انقلَب الناس عليها وعلى دينها معاً .. انظروا إلى هؤلاء العرب ان من أسباب غلبتهم انهم لا يفرُضون دينَهم على الناس فرضاً .

سرجيوس : ونحن لم نفرض على الناس ديناً جديداً غير دينهم ، وانما جمَعْنَاهم على مذهب واحد في المسيحية ليكونوا امّةً واحدة .

المقوقس : فهل استطعنا ان نجعلهم أمة واحدة ؟ أم زدنا بينهم العداوةَ والبغضاءَ حتى صار أهلُ كل مذهب يرَوْن المجُوسِيّةَ أقربَ إلى قلوبهم من المذهب الآخر ؟

مارتينه : عجباً لك يا قيرس واين كنتَ من قبلُ ؟ لماذا لم تنبِّهْنا إلى هذه الحقيقة الا اليوم ؟.

المقوقس : لقد كنتُ مؤمناً مثلَ البطريق سرجيوس بامْكانِ جمعِ النصارى على مذهبٍ واحد ، فنفَّذْت هذه السياسةَ في مصر بكل هِمَّة ونشاط ، وقمَعْت كل مُعارِض لها بكل حزْم وشدّة ، وكنت اعلل نفسي بأن الضّحايا وان كثُرُوا لا يُعَدّون شيئاً مذكوراً في جنبِ تلك الغايةِ النبيلة المقدسةِ إلى أن لاحَ هؤلاء المسلمون في الافق ، فاذا هم يكتسِحون بلادَنا وبلادَ كسرى في وقت واحد ، واذا سِرُّ قُوتِهم ألا اكراهَ

في الدين وان الناسَ سَواءٌ، فادركتُ حينئذ انني كنت لأنفسِنا ظالمين اذ اردنا ان نَفرِضَ مذهبَنا على الناس..

الاطربون : هذا كلامٌ خطير ان سمعه المصريُّون منك فلن تستطيع ان تحكمَهم بعد ذلك ..

المقوقس : اعرِفُ ذلك يا اطربون ولذلك كتَمْتُه في نفسي ولم اكاشِفْ به غير مولاي القيصر وصفْوَة رجاله في هذا المجلس المُوَقَّر .. ولوددت والله لو ابقيته سراً بين ضُلوعي فأسلم من قَوارِص النقد ، لولا ان مولاي القيصر سألني عن رأْيي فرأيت من واجِبي ان اقولَ له ما عندي ..

الاطربون : لكنك مخْطىءٌ يا سيدي البطريق ، ان كنت تحسَبُ ان في وُسْعنا ان نُزيلَ عداوةَ القبط لنا في بضعة شهور .

تيودور : ولا في بِضْع سنين ..

الاطربون : بل انهم سيعدون تودُّدَنا اليهم ضَعْفاً فينا وخوفاً من العرب .

مارتينه : (تنظر إلى المقوقس) ولا سِيّما إذا كان الذي يتودَّدُ اليهم اليوم هو نفسُ الحاكم الذي كان يضطهدُهم امس ..

المقوقس : رُبَّما كان الاطربون على صواب.. ان حِقْدَ القبط علينا قد اصبح من العَسِير علاجُه في وقت قريب ..

الاطربون : (فرحاً) اقتنعت الآن ؟

المقوقس : نعم .

هرقل : ؟ (كمن ينتبه من غفلة) اقتَنَعْتَ بماذا ياقيرس ؟

المقوقس : بان علينا ان نغزُوَ جزيرةَ العرب في الحال ..

هرقل : ألا تخشى على مصر من العرب ؟

المقوقس : بلى يا مولاي وذلك أحرَى ان يدفعَنا إلى

أن نتغدّى بهم قبل أن يتعشّوا بنا ..

هرقل : والقبط الا تخشى علينا منهم ؟

المقوقس : بلى يا مولاي القيصر ولكن لا حيلةَ لنا فيهم .. ان كانوا معنا أثبتناهم وان كانوا علينا عاقبناهم .

سرجيوس : الآن وقد اتفقتْ آراؤنا يا مولاي فلنعزمْ ولنتوكلْ على الله ..

هرقل : (ينظر الى مارتينه في شيء من العتب) هذا ما اردته يا مارتينه ؟

مارتينه : لا غروَ يا مولاي .. اريد لك النصر .. الى متى يغلبنا هؤلاء العرب ؟ لقد آن لنا ان نغلبهم وننتصرَ عليهم .

سرجيوس : اجل يا مولاي القيصر .. لقد عذّبنا ربُّنا على ذنوبنا بما فيه الكفاية وقد آن لربّنا ان ينظرَ الى امةِ المسيح نظرةَ عطفٍ وغوث ، فيُديلَ لها من اعدائها العرب ، كما أدالَ لها

من قبل من اعدائها الفُرسِ وكان السماءَ ارادت ان تُرْهِصَ لنا بذلك اذ انزلتْ ضربتَها الاولى على رأس خالد لتتْبعَها بضربةٍ ثانية على رأس عمرَ في عُقْرِ داره بجزيرة العرب ..

المقوقس : ثم تتوالى الضرباتُ على رؤوسهم بعد ذلك في كل مكان ..

سرجيوس : يا حاميَ المسيحية يا محررَ قبر المسيح يا منقذ الصليب الأعظم ، اعزمْ عزْمَتَك واضرب ضربتك ورُوحُ القُدُسِ معَك ..

هرقل : (يتهلل ويمتلىء بالقوة والعزة) فلتكنْ مشيئة الله ..

سرجيوس والمقوقس : ولينصرك الله يا قيصر ..

الجميع : ولينصرك الله يا قيصر ..

مارتينه : اجعل القيادةَ يا مولاي للامير قسطنطين ..

هرقل : أجل .. فلتكن القيادة للامير قسطنطين ..

سرجيوس : (في غير نيّة) فليؤيّد الله قسطنطين ولينصره

الجميع : فليؤيّد الله قسطنطين ولينصره ..

مارتينه : (تعلو وجهها كآبة تحاول ان تسترها) اكتُمُوا هذا السرَّ يا قوم .. حذارِ أن يتسرَّبَ إلى اعدائكم ..

هرقل : اجل يجب ان يُؤْخذُوا على غِرة .. انصرفوا الآن ان شئتم .. وابْقَ أنت قليلا يا سرجيوس ..

(يخرج المقوقس والاطربون وتيودور) .

هرقل : (يصفق فيحضر الحاجب) احضِرُوا لي الأسيرَ العربيَّ حُذَافةَ .

الحاجب : سمعاً يا مولاي (يخرج) .

مارتينه : (في اهتمام) ماذا تريد ان تصنَعَ به يا مولاي ؟

هرقل : اريد ان اطلقَ سراحه ..

مارتينة : ليتركَنا ويعودَ إلى بلادِهِ ؟

هرقل : نعم ليعودَ إلى عمر فيَطمئنَّ بالُ عمر ..

سرجيوس : هذا توفيقٌ ثالثٌ من الله يا مولاي القيصر .. (تدخل ابيفانيا)

هرقل : اهلا ابيفانيا .. اهلا يا بنتي العزيزة (يوسع لها إلى جانبه) .

ابيفانيا : كيف أنت يا أبي ؟

هرقل : بحمد الله أنا اليوم مُنْتَعِشٌ سعيد .. وكيف حالُكِ أنتِ ؟

ابيفانيا : أنا يا أبي في غاية الشقاء ..

هرقل : (في عطف) ما زلْتِ يا بنتي تتحسَّرين على عرش الشام ؟

ابيفانيا : وهل كنت لولاه أقبلُ ان يتزوَجني هذا اللاجىء الشريدُ الطريدُ ؟

هرقل : هَوِّني عليكِ فليس في الدنيا كلِّها قصرٌ أجمل من قصرك على القَرْن الذهبي ..

ابيفانيا : وهذا الشريد الطريد معي فيه ؟

هرقل : اعتبريه كانه غيرُ موجود في قصرك ..

ابيفانيا : لا سبيلَ إلى ذلك يـا أبي انه يدس انفه في كل شيء ويَغَار عليّ من اصدقائي ويحاول ان يمنعهم من التردد عليّ في القصر ..

هرقل : الغيرة يا بنتي دليلُ الحب ..

ابيفانيا : أنا لا أريد حبـه .. ماذا اصنع بحبـه ؟ أنا في غِنىً عن حبه ..

مارتينة : لا حق لك يا ابيفانيا .. ينبغي ان تذكري انّه عربي ، والعربُ شديدُو الغيرة على نسائهم ..

ابيفانيا : بـل ينبغي ان يذكر هو أنني روميّـة ولا أطيقُ غـيرتَهُ العمياءَ ولا كبريـاءه المزعجَة ..

هرقل : ايتكبر هو عليك ؟.

ابيفانيا : بل يتكبر علينا نحن الرومَ جميعاً ويحتقِرُنا

ويسمّينا العلوجَ .

هرقل : أو قد اجتَرَأ ان يقول لك ذلك ؟

ابيفانيا : لا يا أبي ولكني سمعتـه ذاتَ يوم يقول لربيعة صاحبِه انه يخشى على اخواته وبناتِه ان يتزوجهُن علوجُ الروم .

هرقل : ويل له .. أيقيمُ عندنا ويشتمُنا ويحتقرنا ؟ قسماً بالله لأطلُبَنَّ أختَه لأحد اعواني .. فليرفُضْ طلبي ان كان يقدر ..

ابيفانيا : افعـل يا أبي فانك تؤدبُه بذلك أحسن تأديب ..

مارتينة : اصبري قليلاً يا ابيفانيـا فسينتَهِي قريباً سببُ شقائك وحزنك .

ابيفانيا : احقاً يا سيدي البطريق ؟

سرجيوس : نعم باذن الله ..

ابيفانيا : وافقَت الكنيسةُ على طلاقِي منه ؟

مارتينة : كلا يا ابيفانيا .. لست اقصِدُ الطلاق ..

ابيفانيا : فأي شيء تقصدين ؟

مارتينة : اقصدعرشَ الشام يا ابيفانيا..اننا سنَقْهَر العرب قريباً باذن الله فنستردَّ من أيديهم الشام ..

(يدخل ثلاثة من الجنود يسوقون عبد الله ابن حذافة) .

ابن حذافة : ماذا تريد مني بعدُ يا هرقل ؟ هل بَقِي عندك لونٌ جديد من العذاب لم تجرّبه فيَّ ؟

هرقل : لا تُرع يا ابن حذافة .. لا نريد عذابك اليوم بل نريد اكرامَك .

ابن حذافة : (ينظر إلى المرأتين) عذابكم والله اهون عندي من اكرامكم !

هرقل : (يفطن إلى مراده فيضحك) كلا يا ابن حذافة .. لا نريد شيئاً مما تكره انما اريد ان اسألك ..

ابن حذافة : ان كنت تريد ان تسألني عن عمر كعادتك

فاعلم ان الدينَ ليس دينَ عمر .. انه دينُ الله ارسل به محمداً فآمنَ به الوفٌ من المسلمين منهم عمر ..

هرقل : لا تعْجَل يا ابن حذافة فلن اسألك اليوم عن عمر .. ألم تقل لي ذات يوم ان الاسلام دين السلام ؟

ابن حذافة : بلى يا هرقل ؟

هرقل : فاني سأطلق سراحك اليوم لتكون لنا رسولَ خير وسلام إلى عمر .

ابن حذافة : بعد عهدك الذي نَقَضْتَه معه يا هرقل ؟

هرقل : انك ذكرت لي ذاتَ يوم آيةً في كتابكم تأمركم بقبول السلْم ممن يعرضُها عليكم .. اوقد نسِيتَها يا ابن حذافة ؟

ابن حذافة : لا والله ما نسيتُها يا هرقل : وان جَنَحوا للسّلم فاْجنَحْ لها وتوكّلْ على الله انَّهُ هو السميع العليم ..

هرقل : فما يمنعك ان تُزيل ما في نفسه علينا وتصلح ما بيننا وبينه ؟

ابن حذافة : وتُطْلِق جميع اخواني الذين اسِروا معي في قيسارية ؟.

هرقل : ما شانك بهؤلاء ؟ اني سأطلقهُم فيما بعد ..

ابن حذافة : لا والله لا أعود إلى عمر وحدي ابداً ..

هرقل : (بعد صمت يسير) وتضْمَنُ لنا ان يرضى عنا عمر ويَكفَّ عن غزو ارض الروم ؟

ابن حذافة : ان كنتَ تشكُّ في ذلك يا هرقل فخيرٌ لك الا تُطلقَ سراحنا ..

هرقل : اني سأجيبُك إلى طلبك على شرط ان تُقبلَ رأسي آيةً على صدقك ومودّتك ..

ابن حذافة : حُبّاً وكرامة يا قيصر.. (يدنو من هرقل فيقبّلُ رأسه وتُميل مارتينة برأسها اليه ليقبّلَه فيُعرِضَ عنها في أدب) كلا .. هذا ليس في الشرط ..

المشهد العاشر

في قصر بلاخرتاي على القرن الذهبي قاعة استقبال فاخرة تطل من جهة على حديقة غناء ومن جهة اخرى على البحر..

يرفع الستار فنرى جبلة وعنده ربيعة ابن امية بن خلف يتنادمان على الشراب في ركن من القاعة .

ربيعة : (يصب في قدحه من الباطية) أصْفَى من عين الديك .. (يريد ان يصب في قدح جبلة فيمنعه جبلة) .

جبلة : لا يا ربيعة .. حسْبي ما شربت اليوم ..

ربيعة : ما خطبك يا ابا الملوك ؟ انك لم تشربْ بعدُ غيرَ قدحيْن ..

جبلة : فهما حسبي اليوم .

ربيعة : الا تريد ان تفرجَ عن هُمُومك ؟

جبلة : ان همومي لا تستطيع ان تفرجها الخمرُ .

ربيعة : اذن فلن يفرجها شيء ابداً ..

جبلة : أجل.. ليس إلى تفريجها من سبيل ..

ربيعة : هوّن عليك يا جبلة فانك في نعمة لا يستطيع ان يحْلُم بها أحدٌ ..

جبلة : (يتنهد) في نعمة يا ربيعة ؟ أهذه نعمة ؟

ربيعة : ويحك هذا القصرُ الذي أنت فيه لا نظيرَ له في الدنيا .. البحر يُصَفِّقُ بأمواجه عن يمينك ، والبلابل تغرّدُ على غصون الشجر عن شمالك .. وتمثال افروديت على كثَب منك واقفةً عارية تُنادي في الليل وفي النهار ان حيّ على الحب حيّ على النعيم !!

جبلة : اكثرتَ من الخمر يا ربيعة حتى بدأت تهْذِي ..

ربيعة : لا والله .. لا واللاّتِ والعُزى لا وحق يسُوع ما هذَيْت . أم تريد أن تمنعني خمرَك؟ (ينادي) جارية.. أنت يا جارية.. أدركيني بباطِيَة .. تملأ ثمانية من خمرٍ صَافِيَة .. على الهموم قاضية .. لا تُبْقي منها باقِيَة ..

(تدنو منه احدى الجواري فتقدم له باطية من الخمر) .

جبلة : والله لقد اصابَ عمرُ اذْ نفاكَ .

ربيعة : كلا ما نفاني أحد .. أنا نفَيْت نفسي الى هذه الأرض العامرة ..

جبلة : أما نفاك عمر إلى خيْبَر ؟

ربيعة : بلى ولكني أنا قصدْتُ ذلك .. كانت خيبر أرْوَى لعَطَشي من مدينة محمد ..

جبلة : فعلامَ تركْتَ خيبر ؟

ربيعة : تركتها لما هي أرْوَى منها .. لمدينة

قسطنطين .. (يوالي الشرب) .

جبلة : (يتنهد) ويل الشَّجِيّ من الخَلِيِّ ..

ربيعة : والله ما أنا بالخَلِي يا جبلة وان عندي لهُمومي ..

ولكنني أُداويها بأقداحٍ واكواب
وغيدٍ عند افروديت تَشْفي كلَّ أوْصابي
كأنّي ثَمَّ ألقيها إذا ألقيتُ أثوابي

جبلة : وما همومك يا ربيعة إلى همومي ؟

ربيعة : أنت التي جسّمتها على نفسك ، ولو هوّنتها لهانت ..

جبلة : ويلك كيف تريدني اصنع ؟

ربيعة : هل رأيت شيئاً بعَيْنِك ؟

جبلة : اللهم لا .

ربيعة : اذن فليس لك ان تتّهمها بغير بينة ..

جبلة : انها صارت تستقبل الفِتْيان في جَناحها من دوني ..

ربيعة : فادخلْ إلى جناحها لتَرَى ..

جبلة : ليس لي أن ادخلَ جناحها إلا باذنها ..

ربيعة : فاستأذِنْها ..

جبلة : لن أرى شيئاً إذا استأذَنْتُها .

ربيعة : ذلك خير لك ..

جبلة : قبحك اللهُ .. لقد زدْتَني همّاً وبَلْبالا ..

ربيعة : لا غروَ يا جبلة .. فانها نارٌ لا يزيدُها الفكر إلا اشْتِعالاً وليس يطفئها الا النسيانُ ..

جبلة : وكيف السبيل إلى ذلك ؟

ربيعة : تذكر انها ابيفانيا ابنةُ هرقل ، وليست سُعْدَى بنت الحارث بن ابي شَعِر ..

جبلة : ماذا تَعْني ؟

ربيعة : عُدَّها كأنها خليلَة لك من بنات الروم فيَهْدَأُ بالُك ..

جبلة : لكنها امرأتي يا ربيعة ..

ربيعة : عُدّها كأنها ليست امرأتكَ ..

قسطنطين .. (يوالي الشرب) .

جبلة : (يتنهد) ويل الشَّجِيِّ من الخَلِيِّ ..

ربيعة : والله ما أنا بالخَلِي يا جبلة وان عندي لهُمومي ..

ولكنني أُداويها بأقداحٍ واكواب
وغيدٍ عند افروديت تَشْفي كلَّ أوْصابي
كأنّي ثَمَّ ألقيها إذا ألقيتُ أثوابي

جبلة : وما همومك يا ربيعة إلى همومي ؟

ربيعة : أنت التي جسّمتها على نفسك ، ولو هوّنتها لهانت ..

جبلة : ويلك كيف تريدني اصنع ؟

ربيعة : هل رأيت شيئاً بعَيْنِك ؟

جبلة : اللهم لا .

ربيعة : اذن فليس لك ان تتّهمها بغير بينة ..

جبلة : انها صارت تستقبل الفِتْيان في جَناحها من دوني ..

ربيعة : فادخلْ إلى جناحها لتَرَى ..

جبلة : ليس لي أن ادخلَ جناحها إلا باذنها ..

ربيعة : فاستأذِنْها ..

جبلة : لن أرى شيئاً إذا استأذَنْتُها .

ربيعة : ذلك خير لك ..

جبلة : قبحك اللهُ .. لقد زدْتَني همّاً وبَلْبالا ..

ربيعة : لا غرْوَ يا جبلة .. فانها نارٌ لا يزيدُها الفكر إلا اشْتِعالاً وليس يطفئها الا النسيانُ ..

جبلة : وكيف السبيل إلى ذلك ؟

ربيعة : تذكر انها ابيفانيا ابنةُ هرقل ، وليست سُعْدَى بنت الحارث بن ابي شَعِر ..

جبلة : ماذا تَعْني ؟

ربيعة : عُدَّها كأنها خليلَة لك من بنات الروم فيَهْدَأُ بالُك ..

جبلة : لكنها امرأتي يا ربيعة ..

ربيعة : عُدّها كأنها ليست امرأتكَ ..

جبلة : كيف ياربيعة ؟ انك تستطيع ان تغالطَ غيرك ولكنك لا تستطيع ان تغالط نفسَك ..

ربيعة : بلى تستطيع ذلك لو اردْتَ .. وهذا الشرابُ من وسائله .. اشرب يا ابا الملوك اشرب .. (يريد ان يصب له في قدحه) .

جبلة : اعفني يا ربيعة ..

ربيعة : عزَمْت عليك الا ما شرِبْت ..

جبلة : لا والله عما قريبٍ يزورني عبدُ الله بن حذافة السهمي ولا ينبغي ان استقبله وانا مخمورٌ ..

ربيعة : الأسيرُ الذي ارتَمت عليه الملكةُ فصدَّها عنه ؟

جبلة : مَهْ !

ربيعة : لحاهُ الله ما أخيبَهَ .. ايَّ رُوح وريْحانٍ وجنةَ نعيمٍ اَضاع !

جبلة : صَه .. إياك ان تَرْوي هذا لأحد ..

ربيعة : لا تخفْ يا ابا الملوك فان اسرارَك عندي في حرزٍ حريز .. ولكن ماذا يصنع هذا الخائبُ عندك ؟

جبلة : استأذن قيصرَ ان يراني قبل ان يعودَ إلى المدينة فأذِنَ له .

ربيعة : أنا ماضٍ اذن يا جبلة ..

جبلة : لِمَ لا تبقى يا ابا امية حتى يَجيءَ فتراه ؟

ربيعة : كلا لا اريد ان تقذَى عيني برؤية وجهِ مسلمٍ .

جبلة : ويلك .. اني لأحتقر نفسي كلما رأيتُني أمامَه .. لو رأيتَه وهو يعْلَمُ ان حياته في يمين قيصر فيأبَى الا ان يخاطبَه باسمه المجرد من كل لقب وكأنّه يخاطبُ أي علج آخر من علوج الروم لأكبرَته ولأحببْتَه ..

ربيعة : عُنْجُهِيّة رُعاةِ الغنَم !

جبلة : بل عزة رُعاة الأُمَمِ !!

(يدخل الحاجب مسرعاً) .

الحاجب : مولاي .. الضيفُ العربي قد حضر !!

جبلة : أهلاً وسهلاً بـــه .. دعه يدخل (يخرج الحاجب ويتبعه ربيعة ليخرج) إلى أين يا ربيعة ؟

ربيعة : إلى فردَوْس افروديت .. (يخرج) .

(يدخل عبد الله بن حذافة فيستقبله جبلة مرحباً) .

ابن حذافة : ويلك يا جبلة ان قصرَك هـذا لأجملُ من القصر الذي يُقيمُ به هرقل ..

جبلة : أجل ذاك قصرُهم القديم .. وهذا قصرٌ جديد ..

ابن حذافة : متاعُ الحياة الدنيا وللَدارُ الآخرة خير عند ربك ثواباً وخير أَمَلا .

جبلة : (يومىء إلى الاريكـــة) أجلس يا ابن

حذافة .. مالك ؟

ابن حذافة : لا أجلس على هذا الحرير ..

جبلة : فيم يا ابن حذافة ؟

ابن حذافة : ان رسول الله ﷺ نهى عن هذا .

جبلة : صلى الله عليه وسلم .

ابن حذافة : اِمطْـه عن الأريكة ان شئت ان اجلسَ عليها .

جبلة : هذا لا يماط عنها ولكنيسأَضعُ هذا البساطَ عليه (يضع بساطاً من الصوف على الأريكة فيجلس ابن حذافة هو ويجلس إلى جانبه) يا هذا انك اذا طهرت قلبك لم يضرك ما لبسته ولا ما جلست عليه .

(تدخل جاريـــة بجام شراب فتقدمه لابن حذافة)

ابن حذافة : ما هذا ؟

جبلة : اشربه يا ابن حذافة .. فانه عصيرُ التـوت

وليس بخمر .

(يشربه ابن حذافة) .

ابن حذافة : جزاك الله خيراً يا جبلة .

(يرفع السجف الذي يفصل القاعة عن البهو فاذا جوار ثمان يرقصن في غلائلهن وبأيديهن الدُّفوف والمزاهر فيبهت ابن حذافة قليلا ثم يلتفت الى جبلة غاضباً)

ما هذا يا جبلة ؟

جبلة : نَقِّ قلبك يا ابن حذافة .. فلا يضرُّك ما ترى ولا ما تسمع .

ابن حذافة : ويلك انك تعرف ما أحبُّ وما اكره ، فان كنت تريد ان تلقاني عندك بما اكره فاني

(يهم بالقيام فيمسكه جبلة) .

جبلة : (مقاطعاً) انهن جواريٍّ وملكُ يميني من عهْد الشام وهن يغنيننَي ويسلِّيننني ويذكرنني ببلدي فأي حرج في ذلك ؟

ابن حذافة : امنعهن والا انصرفت عنك ..

جبلة : (يومىء لهن فيتوقفن عن الرقص وينسحبن) هأنذا قد صرفتهن عنك .

ابن حذافة : احسنت يا جبلة .. انك تعلم ما كابدته أنا عند هرقل فاعذُرْني فاني أخشى الفتنة على نفسي وعلى ديني .. أم تريد ويحك أن تفخَرَ عند هرقل بانك قد استطعت أن تُغْوِيَني من حيث عجز هُوَ عن ذلك ؟

جبلة : لا والله يا ابن حذافة ما اردت إلا ان ادْخِلَ السرورَ على قلبك .

ابن حذافة : ان اردت ان تدخل السرور على قلبي فاْخلني حتى اتحدثَ اليك وحدك .

جبلة : هاتِ ما عندك فليس بيننا أحد .

ابن حذافة : (يتلفت حوله) بلغني ان قيصر قد تغيَّر عليك .

جبلة : افلهذا رغِبْتَ في زيارتي ؟

ابن حذافة : نعم .. لا تبتَئِسْ يا جبلة فلعل الله قد أراد بك خيراً في ذلك .

جبلة : أي خير يا ابا حذافة ؟

ابن حذافة : ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والاسلام ؟

جبلة : ابعد الذي قد كان ؟

ابن حذافة : قد ارتَدَّ الأشعثُ بنُ قيس ومنعهم الزكاةَ وضربهم بالسيف ثم رَجَع إلى الاسلام ...

جبلة : شتّانَ ما بيني وبين الأشعث .. الاشعث لم لم يلحَقْ بقيصر مثلي ولم يتزوج ابنته .

ابن حذافة : قد بلغني انك لست معها على وِفاق فلِمَ لا تطلقها ؟

جبلة : اطلقُها وهي ابنةُ قيصر ؟

ابن حذافة : ولِمَ لا ؟ وقد هجرْتك ونشزت عنك ..

جبلة : وكيف أعيش بعد ذلك ؟

ابن حذافة : تعني الرزقَ الذي يُجريه عليك قيصر ؟

جبلة : نعم.

ابن حذافة : سنفرضُ لك عطاءً في ديوان المسلمين ..

جبلة : فهل اجدُ عندكم مثل هذه العيشة ؟

ابن حذافة : هـــذه عيشة الملوك يا جبلة .. وليس في الاسلام ملوك .. ولكنك ستعيش بيننا حراً كريماً لا يتعبَّدُك احد ولا يمنَّ عليك احد .

جبلة : ليلطمني اعرابيٌّ جلفٌ من بني فزارَةِ .

ابن حذافة : ذلك الحق يا جبلة ، ولا غضاضةَ على أحد ان يُؤخَذَ منه الحق .. ألا تحب يا جبلة ان تقيم في أرض تسودُ فيها كلمةُ الحق ؟

جبلة : (يتنهد في أسى) تلك آفةُ الملوك يا ابن حذافة .. لا يستطيعون إنْ عُزِلوا ان يعيشُوا عيشةَ الملوك ولا عيشةَ السوقة فيضيعون بين ذلك .لقد طلبت من عمر ان يوليني على الشام فأبى ، ولو فعل لكفاني هذا الهوان .

ابن حذافة : مـــا كان لعمرَ ان يُولّيك شيئاً من امور

المسلمين ، وأنت ترى بعدُ أنك ملكٌ عليهم وهم سُوقة ..

جبلة : اتضمَنُ لي يا ابن حُذَافة ان عمرَ يقبلُني ان عدْتُ اليه ؟

ابن حذافة : نعم .

جبلة : بعد كل الذي صنعتُ في حملة الشام ؟

ابن حذافة : نعم .. انه لا يملك ان يردَّك .

جبلة : ويزوجني احدى بناته ؟

ابن حذافة : ويزوجك احدى بناته .

جبلة : تضمنُ لي ذلك ؟

ابن حذافة : نعم .

جبلة : واين يُسكِّنُني عمر إن زوّجني ابنتـه ؟ في خُصٍّ كالخصّ الذي يُقِيم هو فيه ؟

ابن حذافة : ويحك يا جبلة ستكون رجلاً من المسلمين لك ما لهم وعليك ما عليهم ..

جبلة : يا ليتني أستطيع ذلك يا ابن حذافة ..

ابن حذافة : وما يمنعُك ؟

جبلة : المصيرُ الذي كُتب علي ..

ابن حذافة : كلمة واحدة تقولُها يا جبلة ويتغيرُ هذا المصيرُ ..

جبلة : هيهات يا ابن حذافة.. اني اعرَفُ بنفسي منك ولكن لي رجاءً اليك فحبَّذا لو قبِلتَ ..

ابن حذافة : ماذا تريد يا جبلة ؟

جبلة : ان تتزوجَ ابنتي وردَة وتحملَها معك إلى المدينة ..

ابن حذافة : ان لي زوجاً تنتظرُني في المدينة ..

جبلة : فلتكن وردةُ هي الثانية ..

ابن حذافة : أأغيبُ عن امرأتي كل هذه المدة ثم أقدِمُ عليها بضرَّة ؟ لا والله لا افعل ذلك ابدا ..

جبلة : فاحملها معك وزوّجْها لكفْءٍ لها من فِتْيان العرب ..

ابن حذافة : اما هذا فحباً وكرامة ..

جبلة : انتظر حتى ادعُوَها لك (يخرج ثم يعود بعد قليل ومعه وردة) يا بُنَيّتي هـذا عمُّك عبد الله فسلّمي عليه ..

وردة : مرحباً بك يا عم ..

ابن حذافة : حيّاك الله يا وردة ..

جبلة : انه يريد الرجوعَ إلى المدينة وقد رجوتُه أن يحملَك معه فيزوّجك هناك لمن هو جديرٌ بك من فتيان العرب ..

وردة : امرأتك الرومية يا ابي هي التي اوْعَزَتْ اليك ؟

جبلة : وردة .. انك تعلَمين اني لست معها اليوم على وِفاق ..

وردة : فعلامَ تريد ان تُقصيَني عن القسطنطينية لترميَني في صحراء العرب ؟.

جبلة : انها ليست صحراءَ يا وردة .. انها مدينة عامرةٌ ذات مزارع ونخيل .

وردة : انسيت يا ابي ما كنت تحدّثني عنها ؟ ألم تقل لي أن امير المؤمنين يقيم في خص حقير لا ترضاه أنت لخدمك وعبيدك ؟ فان كان هذا حال اميرهم فماذا يكون حالُ غيره من الناس !؟

جبلة : يا هـذه انما ذلك عمرُ بن الخطاب لزهده في الدنيا ..

وردة : كلا بل تريد ان تُقصِيَني عنك.. تريد ان تَقبُرَني كما قَبرت أمي من قبل ..
(تنشج باكية)

جبلة : لا والله انكِ لأغلى الناس عندي يا وردةُ وما كنت لأصبِرَ على فراقك لولا خوْفي عليك ..

وردة : تخافُ عليّ مماذا ؟

جبلة : ان يتزوجك علج من علوج الروم ..

وردة : فما بالك تريد ان تزوجَ عمّتي عالية لواحد منهم ؟!

جبلة : (في أسى) قيصر هو الذي اكرَهني على ذلك ..

وردة : اكرهك ؟

جبلة : طلبها مني لذلك الرومي فلم استطعْ ان اردَّ طلبه ، وأخشى يا وردة ان يكرَهني فيك ايضاً ، وان عاراً واحداً لأهْوَن من عارين ..

وردة : لو كان هذا رأيُك حقاً لما تركْتَ أمي تموتُ كَمَداً لتتزوّجَ هذه العلجة .

جبلة : ويلك اهكذا تخاطبين اباك ؟

وردة : (تبكي) ما حيلَتي ؟لقد فرّقتَ بيني وبين أمي فلا والله لا ادعك تفرّق بيني وبين قبْرِها ازورُه كل يوم ..

جبلة : اُغربي عن عَيْني ..
(تخرج وردة) .

جبلة : (يخالط صوته البكاء) سمعت يا ابن حذافة؟

حتى ابنتي لا تطيعُ أمري .

ابن حذافة : هوّن عليك .. ابقيها عندك ولا تُحْمِلْها على مخالفة امرك ..

جبلة : (في الم) انها لا تُبالي ان يتزوّجها علجٌ منهم ..

ابن حذافة : ان الاسلامَ يا جبلةُ قد اراحنا من هذه العَصَبيَّة الجاهلية ..

جبلة : ماذا تَعْني ؟

ابن حذافة : الناسُ عندنا سواءٌ لا فضْل لعربي على أعجَمِي إلا بالتقوى.

جبلة : افكنتَ تقبلُ ان تزوجَ ابنتك أو اختك لرومي ؟

ابن حذافة : نعم إذا أسلم .

جبلة : آه لو ترك لنا الاسلامُ شيئاً نعْتَز به ولم يُسَوِّ بين الملوك والسُوقة ولا بين العرب والعجم .. اذن لكنتُ اليوم من رجاله

المخلصين .

ابن حذافة : ويلك يا جبلة ان محمداً لم يُرسل إلى العرب وحدَهم .. بل أُرسل إلى البشر كافةً ، والله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز : ولو اتبعَ الحقُّ اهواءَهم لفَسدَت السماواتُ والأرضُ ومن فيهِنَّ ..

جبلة : اذن فياليتني كنت راعياً من رعاة البادية فيرفعُني الاسلام ويسوّيني بمن فوقي لا بمن تحتي ..

ابن حذافة : ويحك يا جبلة ان الاسلام إذا سواك بمن فوقك لقد سواك بمن تحتك كذلك ..

جبله : تلك هي المِحْنَة التي ليس لي بها يدان .. فبالله عليك يا ابن حذافة ان سألوك عني فقل لهم اني سعيدٌ في بلاد الروم اعيشُ في هذا القصر المنيف كما يعيش قيصر الروم بل اكرم وأعز .. أحك لهم ما رأيتَ عندي

من الجواري الحسان والكراسي الذهب ، والطنافس الحرير ، والطيور المغردة والطيور التي تَنْفُض على رأسي من ريشها المسك والعشير .. أحك لهم كل ذلك ولا تحك لهم شيئاً مما رأيت من ذُلي وهواني وعذابي في هذه الديار التي أنا عنها غريب ..
(ينشج باكياً)

ابن حذافة : اما انك لتبكي يا جبلة ..

جبلة : كيف لا وأنا اعلمُ اين أجد سعادتي فلا استطيعُ اليها سبيلا .

ابن حذافة : السبيل مفتوحةٌ أمامك ..

جبلة : هيهات .. لو شاء الله ان يهدَيني لهداني .. فبحسبي يا ابن حذافة ان أرى دولةَ العرب تعلُو وتعز ويخفُق لواؤها في العالمين . وسواء عليَّ بعد ذلك أن اكون مسلماً أو لا أكون من المسلمين ..

ابن حذافة : ويلك يا جبلة .. الا تعْنيك آخرتك ؟

جبلة : آخرتي ؟ دع عنك آخرتي يا ابن حذافة ..
ان الذي لا دنيا له لا آخرة له ..

« ستار »